السلوك الصوتي في قراءة القرآن الكريم
(دراسة تأصيلية)

د. بدر الدين عبد الكريم أحمد . الأستاذ المشارك في القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين . جامعة أم القرى

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد: فإن أولى العلوم ذكراً وفكراً وأشرفها منزلة وقدراً وأعظمها ذخراً وفخراً كلام من خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً فهو العلم الذي لا يخشى معه جهالة ولا يغشى به ضلالة ؛ وإن أهم ما ينبغي أن يعرف من علومه معرفة الأحكام الخاصة بالآداء الصوتي لتلاوته وقراءته كما أنزل من حيث الجهر به والإسرار والسلوك المشروع في الاستشفاء بسوره وآياته وتحسين الصوت به تحسيناً يزين به القرآن في غير ترعيد ولا ترقيص ولا تطريب ولاتحزين ؛ فإن الصوت الحسن نعمة من نعم الله عز وجل ، وموهبة يهبها لمن يشاء من عباده وتزدان هذه الموهبة جمالاً ورفعة حينما تزين بألفاظ الكتاب العزيز ؛ فطوبى لمن استخدمها في طاعة الله ، وقصد بها وجه الله ؛ وأحسن الناس صوتاً من إذا سمعته يقرأ؛ حسبته يخشى الله ويجعل من التغني بالقرآن وتحسين الصوت وسيلة لتدبره وتأمله وتحقيق مبادئه وتطبيق أحكامه كما كان حال سلفنا الصالح ، فعن ابن مسعود ، قال : "كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ ، والعملَ بهنَّ[1] " ؛ وعن أبي عبد الرحمن [2] ، قال : حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا : أنهم كانوا يستقرِئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا [3] "

---

١ أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن ، ١/ ٨٠ ، حديث رقم (٨١) .

٢ أبو عبد الرحمن : هو السلمي ، واسمه عبد الله بن حبيب ، وهو من كبار التابعين .

٣ الحديث صحيح متصل الإسناد أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن ، ١ / ٨٠، حديث رقم (٨٢)، وأخرجه الطحاوي في : شرح مشكل الآثار ، المؤلف : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى : ٣٢١هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى - ١٤١٥ هـ ، ١٤٩٤م ،٤ / ٨٤ ، حديث رقم (١٤٥٢) .

أما من جعل من القرآن مطية للتكسب به ، وطلب الرياء والشهرة ، واتبع قواعد النغم ومقامات الموسيقى يصرف للناس عن معاني آياته وتطبيق أحكامه إلى الإعجاب بجمال صوته وحسن أدائه ، فقد أحدث في الدين ما ليس منه ، وقرأ القرآن بغير ما أنزل وحاد عن المنهج المستقيم في تعلم القرآن وتعليمه وفهم معانيه والعمل بمقتضى رسالته وإبلاغها للناس على الوجه المشروع المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ملخص البحث :

اشتمل هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، الفصل الأول عنوانه : الأحكام الخاصة بالآداء الصوتي للقرآن الكريم ؛ قسمته لثلاثة مباحث : المبحث الاول : حكم الجهر والإسرار بالقراءة ، تحدثت فيه عن إجماع المسلمين على مشروعية الجهر بتلاوة القرآن والإسرار بها وأنه لا خلاف في ذلك ، وإنما الخلاف في أيهما أفضل الجهر أم الإسرار ؟ وأن سبب هذا الخلاف الأدلة الواردة بجواز الجهر بالقراءة والإسرار بها . ثم سقت الأدلة والآثار الواردة بفضيلة الجهر ، و الأدلة والآثار الواردة بفضيلة الإسرار ووجه الجمع بينهما .

أما المبحث الثاني ، فعنوانه: المبحث الثاني: أدب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن الكريم ، وفيه جاء الحديث متناولاً أهم الآداب المتعلقة بتلاوة القرآن الكريم ، والفرق بين الاستماع والإنصات؛ ومعدداً للآداب التي ينبغي للمستمع أن يكون حريصاً على اكتسابها وتحقيقها عند قراءة القرآن الكريم .

أما المبحث الثالث ، فعنوانه : حكم الأصوات المنكرة في القراءة ،وفيه جاء الحديث متناولاً ومعدداً للأصوات المنكرة والبدع المستحدثة التي لا أصل لها في قراءة القرآن الكريم مقروناً بشواهد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأشعار العرب وأقوال السلف ومن تبعهم بإحسان من الخلف .

أما الفصل الثاني، فعنوانه : العلاج بالقرآن ودليل مشروعيته . وفيه تحدثت عن الرقية ودليل مشروعيتها من الكتاب والسنة وأقوال العلماء في ذلك ؛ ثم بينت الطريقة المشروعة لدفع البلاء من الدعاء والرقية والتحصين بالمداومة على قراءة القرآن الكريم وبالأذكار

المستمدة من كتاب وسنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج ، كما ذيَّلْتُ الخاتمة بذكر المراجع التي رجعت إليها لتوثيق البحث .

أهداف البحث :

أسعى من خلال هذا البحث لتحقيق الأهداف التالية :

١. الإسهام في تغيير البدع المستحدثة في القراءة؛ باستقراء ما في النصوص الشرعية وما فيها من أدلة وأحكام تدحض حجج المبتدعين والمتساهلين في تعلم قواعد النغم ومقاماته بزعم ان ذلك من الوسائل التي تؤدي إلى تحسين الصوت بالقرآن وتزيينه به .

٢. الحث على اكتساب الآداب والفوائد المترتبة على القراءة الصحيحة والتلاوة السليمة التي تعين القارئ على فهم القرآن وتدبره والعمل بأحكامه .

٣. الإسهام في حل المشاكل الناتجة عن استخدام مكبرات الصوت في المساجد والأماكن العامة بصورة سافرة أرقت المرضى والنائمين والمسؤلين الحكوميين وذلك بإيراد الأدلة والبراهين التي توضح أن الاعتدال في الصوت والتوسط فيه أمر أقره الشرع وأوجبه ونفر من اتباع الأصوات الشاذة التي شبهها بأصوات الحمير في النكارة والزفير والصفير .

٤. إيجاد بحث علمي أصيل يسهم في توضيح الكيفية الصحيحة والطريقة المشروعة في العلاج بالآيات القرآنية والاذكار النبوية .

منهج البحث

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي تمشياً مع طبيعة هذا البحث التي تتطلب الاستقراء وصحة الاستدلال بالنصوص الشرعية للنوازل والمستجدات المعاصرة .

منهج الباحث :

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني .

٢. تخريج الأحاديث النبوية وضبطها بالشكل إن دعت الضرورة لذلك .

٣. التوثيق لمصادر البحث ومراجعه اسفل الصفحة .

٤. ضبطت الكلمات الغريبة لغوياً وأشرت إلى معانيها وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم العربية .

٥. عرفت بالأعلام بطريقة مختصرة بحيث لا تؤثر في موضوع البحث وحجمه.

٦. استخدمت علامات الترقيم في كتابة البحث وتوثيقه .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والتدقيق في مراجع ومصادر البحث العلمي لم أعثر على من كتب تحت هذا العنوان سوى كتابين قربا من موضوع البحث الأول " بدع القراء القديمة والمعاصرة " لبكر عبد الله ابو زيد ، والآخر البيان لحكم قراءة القرآن الكريم بالألحان للشيخ الدكتور أيمن رشدي سويد ،ولكنهما لم يتناولا الموضوع من أبعاده المختلفة وجوانبه المتعددة ؛ إذ تركز حديث الأول عن "محدثات القراء " في القديم والحديث ، كالتمايل من القارئ والسامع والجمع بين قراءتين فأكثر في آية واحدة في الصلاة أو خارجها والاحتفال بليلة ختم القرآن ونحو ذل ك من الأفعال المستحدثة التي لا اصل لها في الشرع .

أما الثاني فقد حصر بحثه في حيز ضيق وهو بيان الحكم الشرعي للقراءة باللحن والنغم الموسيقى لا غير ؛ ولما كان الحال على ما وصفت كان اختياري لموضوع السلوك الصوتي في ضوء في قراءة القرآن الكري (دراسة تأصيلية ـــ استقرائية) فتناولته بطريقة تجلي حقائق المشكلة وتعالج مسائلها وما طرأ عليها من مستجدات .

التمهيد :

التعريف بالسلوك والقراءة :

١. أولاً : تعريف السُّلُوْكُ .

السُّلُوْكُ : مَصدَرُ سَلَكَ طَرِيقاً . والمَسْلَكُ : الطَرِيْقُ . والسَّلْكُ : إدْخَالُ شَيْءٍ في شَيْءٍ تَسْلُكُهُ فيه [٤].ونعني بالسلوك الصوتي في قراءة القرآن اختيار القارئ للكيفية التي يتبعها في تلاوته وما يترتب على هذا الاختيار من أحكام شرعية .

٢. ثانياً : تعريف القراءة .

القراءة مصدر قرأ يقرأُ قراءة ، فهو قارئ ، والمفعول مَقْروء ، وفي ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة : ١٨) ، أي : إذا قرأه عليك جبريل عليه السلام ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ ، والقراءة والقرآن مصدران ، كما تقول : راجح بين الرجحان والرجوح. والمعرفة والعرفان ، والطواف والطوفان [٥]. وعن ابن عباس: أنّ معنى "القرآن" عنده القراءة ، فإنه مصدر من قول القائل : قَرأتُ ، على ما بيَّناه فيكون معن الآية على هذا القول : فإذا بيَّناه بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك بالقراءة [٦].

---

٤ المحيط في اللغة ،المؤلف : إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ،الناشر : عالم الكتب ، بيروت ــ لبنان - ١٤١٤هــ -١٩٩٤ م ،الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ١٨٥/٦ .

٥ : معاني القرآن ،المؤلف : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد على نجار ، عبد الفتاح إسماعيل شلبى الناشر : دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ٣ / ٢١١ .

٦ : ينظر معاني القرآن ، مرجع سابق، ٣ / ٢١١ ، وجامع البيان في تأويل القرآن ، ٩٥/١ ، ولسان العرب، المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٣ /٢٠١ .

الفصل الأول
الأحكام الخاصة بالأداء الصوتي للقرآن الكريم

المبحث الاول : حكم الجهر والإسرار بالقراءة

أجمع المسلمون على مشروعية الجهر بتلاوة القرآن والإسرار بها ولكنهم اختلفوا أيهما أفضل الجهر أم الإسرار ؟ وسبب خلافهم الأدلة والآثار الواردة بجواز الجهر بالقراءة والإسرار بها .

فأما الأدلة والآثار الواردة بفضيلة الجهر ورفع الصوت بالقراءة فمنها قوله تعالى ــ آمراً رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بإبلاغ ما بعثه وبإنفاذه والصدع به ، وهو مواجهة المشركين بالقرآن ومجـــــاهدتهم به ــ:﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الحجر : ٩٤) ، أي : اجهر بالقرآن ، وقد كان يقرأ (مسراً) خوفاً من المشركين ؛ فأمره الله تعالى بالجهر وألا يبالي بهم[٧] . وهذه استعارة ؛ لأن الصّدع على الحقيقة إنما يصح فى الأجسام لا فى الخطاب والكلام . وإنما قال سبحانه : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ ولم يقل : فبلغ ما تؤمر ؛ لأن الصدع هاهنا أعم ظهوراً ، وأشد تأثيراً. وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك – والله أعلم – أن بالغ فى إظهار أمرك ، والدعاء إلى ربك ، حتى يكون الدين فى وضوح الصبح ، لا يشكك نهجه ، ولا يظلم فجه . مأخوذاً ذلك من الصّديع[٨] ، لشأنه ووضوح إعلانه[٩] .

كان ذلك لما تمادى المشركون في الشر وأكثروا برسول الله ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ الاستهزاء فحينئذ خرج هو وأصحابه امتثالاً لأمره تعالى وجهراً بكلامه وكذا يشرع في كل عصر ينتشر فيه الشرك والباطل وتعربد فيه البدع والرذائل ويكثر فيه الاستهزاء بأهل القيم

---

٧ تفسير القرآن ، المؤلف : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، المتوفى ، سنة ٤٨٩هـ ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر : دار الوطن – الرياض ، المملكة العربية السعودية ،١٤١٨هـ– ١٩٩٧م ، ٣/ ١٥٤

٨ الصديع : الصبح. سمي بذلك لانصداعه عن ظلمات الليل.

٩ تلخيص البيان فى مجازات القرآن ، المؤلف : الشريف الرضى ، الناشر : دار الأضواء ــ بيروت ، ٢/١٨٨.

والفضائل يستحب الجهر بالقرآن حتى تعلو كلمة الحق ويسفل صوت أهل الباطل ، وكان عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَكَّةَ إثر اجتماع أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطّ ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : أَنَا ، قَالُوا : إنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْك ، إنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنْ الْقَوْمِ إنْ أَرَادُوهُ ، قَالَ دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي . قَالَ فَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى الْمَقَامَ فِي الضُّحَى ، وَقُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهَا حَتَّى قَامَ عِنْدَ الْمَقَامِ ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ " الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ " قَالَ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَؤُهَا . قَالَ فَتَأَمَّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ . مَاذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ ؟ قَالَ ثُمَّ قَالُوا : لِيَتْلُوَ بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ فَقَامُوا إلَيْهِ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ فِي وَجْهِهِ وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ [١٠] .

ومن أدلة الجهر بالقراءة ـــ ما جاء في الصحيحين : - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ [١١] وعَنْ أَبِي مُوسَى (الأشعري) ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَهُ " يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ [١٢] " .

---

١٠ و السيرة النبوية لابن هشام ، المؤلف : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ، المتوفى سنة ٢١٣هـ ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ،الناشر : دار الجيل – بيروت ،الطبعة : الأولى ، ١٤١١/٢، ١٥٦، والجامع لأحكام القرآن ، ١٧/ ١٥١ ، والبداية والنهاية ، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) ، تحقيق : علي شيري ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : طبعة جديدة محققة / الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ٧/ ١٨٢.

١١ صحيح البخاري ، ٩/ ١٩٣، حديث رقم (٧٥٤٤) ، كتاب فضائل ،القرآن. بَابٌ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ .وَزَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، وصحيح مسلم ، ٢/ ١٩٢ ، حديث رقم (١٨٨٣) ، باب اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ .

١٢ صحيح البخاري ، ٦/ ٢٤١، حديث رقم (٥٠٤٨) ، كتاب فضائل ،القرآن. باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن .

وفي رواية لمسلم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : قال له " لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ [١٣]".

وعَنْ أَبِي مُوسَى ــ أيضاً ــ قَالَ النَّبِيُّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ :" إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ ...[١٤]" . وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال : سمع علي بن أبي طالب ضجة في المسجد يقرؤون القرآن ويقرئون فقال : " طوبى لهؤلاء هؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم " ــ[١٥].

وفي إثبات الجهر أحاديث كثيرة وأما الآثار عن الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم فأكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر .

وأما الأدلة والآثار الواردة بفضيلة الإسرار وخفض الصوت فمنها عن عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة [١٦] " ، وعن أبي حازم التمار عن البياضي : أن رسول الله ــ صلى الله عليه و سلم ــ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة

---

١٣ صحيح مسلم ، ٢/ ١٩٣، حديث رقم (١٨٨٨) ، باب اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ .

١٤ صحيح البخاري ، ٥/ ١٧٥، حديث رقم (٤٢٣٢) ،. باب غزوة خيبر .

١٥ لم يرو هذا الحديث عن عاصم بن كليب إلا حفص الغاضري تفرد به علي بن يزيد . ينظر المعجم الأوسط ، المؤلف : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، الناشر : دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، ٧ / ٢١٤ ، حديث رقم (٧٣٠٨) .

١٦ أخرجه أبو داود في السنن ،١ / ٥١٠ ، حديث رقم (١٣٣٥) ، باب فى رفع الصوت بالقراءة فى صلاة الليل ، والبيهقي في شعب الإيمان ، ٤ / ١٨٧ ، حديث رقم (٢٣٧٢) ، فصل في رفع الصوت بالقرآن إذا لم يتأذ به أصحابه أو كان وحده أو كانوا يستمعون له ، والترمذي في سننه ، ٥/ ٣٠ ، حديث رقم (٢٩١٩) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وأحمد في المسند ، ٤ /١٥١ ، حديث رقم (١٧٥٠٢) ، مسند عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ، وابن حبان في صحيحه ، ٣ /٨ ، حديث رقم (٧٣٤) ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، ١ / ٥٥٤ ، حديث رقم (٢٠٣٨) ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقال : حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .

فقال : " إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن[١٧] " ، وفي رواية للحاكم من كتاب صلاة التطوع عن أبي سعيد الخدري قال : اعتكف النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة و هو في قبة له فكشف الستور و قال : " ألا كلكم يناجي ربه فلا يؤذين بعضكم بعضاً و لا يرفعن بعضكم على بعض في القراءة في الصلاة[١٨] " ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَجَهَرَ بِصَلاَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " يَا ابْنَ حُذَافَةَ ، لاَ تُسْمِعْنِي وَأَسْمِعْ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ[١٩] ".

وفي الجهر بالقراءة والإسرار بها أحاديث كثيرة وكلاهما جائزان ؛ لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر وإن قرأ بالنهار أسر بالأكثر إلا أن يكون بالنهار في موضع لا لغو فيه ولا صخب و لم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن[٢٠]

قال العلماء : والجمع بينهما أن الإسرار أبعد من الرياء ، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك ، فإن لم يخف الرياء ، فالجهر أفضل ، بشرط أن لا يؤذي غيره من مصل ، أو نائم أو غيرهما .

---

١٧ موطأ الإمام مالك ، المؤلف : مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – مصر ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ١ /٨٠ ، حديث رقم (١٧٧) ، باب العمل في القراءة .

١٨ المستدرك على الصحيحين ، ١ /٤٥٤ ، حديث رقم (١١٦٩) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

١٩ أخرجه أحمد في المسند ، ٤ /١٥١ ، حديث رقم (١٧٥٠٢) ، مسند أبي هريرة ، وذكره الدارقطني في العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، ٨/ ٢٨ ، فقال : يَرويهِ الزُّهْرِيُّ ، واختُلِفَ عَنهُ ؛ فَرَواهُ النُّعمانُ بنُ راشِدٍ ، والزُّبَيدِيُّ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَن أَبِي سَلَمَةَ ، عَن أَبِي هُرَيرةَ.

٢٠ ينظر البرهان في علوم القرآن ، المؤلف : بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م ،الناشر : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، مصر ، ١/ ٤٦٤ .

ودليل فضيلة الجهر ، أن العمل فيه أكبر ؛ إذ فيه إظهار صوت أهل الحق وإزهاق صوت أهل الباطل ويتعدى نفعه إلى غيره ، فيوقظ قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ولأنه يطرد النوم ويزيد في النشاط ، ويوقظ غيره من نائم وغافل ، وينشطه ، فمتى حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل[٢١] .

ويحمل على ذلك مسألة استخدام مكبرات الصوت في الإقامة والقراءة في الصلاة الجهرية وقيام رمضان فمتى ترجح فيها حصول فائدة مما ذكر فالرخصة بجواز استخدامها وإلا فالترك أحوط وأسلم وأبعد من الريا وأذى المصلين والمرضى والنائمين وإذا كان واقع الحال يدعو باستخدامها فمن الواجب شرعاً خفض أصوات المكبرات وغيرها من الوسائل الصوتية الحديثة حتى لا يكون الصوت نشازاً بحيث يسبب إزعاجاً للمجاورين للمسجد فهنالك من البيوت الملاصقة للمسجد يكون فيها المرأة والطفل النائم والمريض وأصحاب الأعذار ممن لا يطلب منه حضور الصلاة أو حتى ممن لا يرغب في حضور صلاة التروايح فيتأذون برفع الصوت المبالغ فيه بالقراءة أو بالدعاء أو بالصراخ والصياح والبكاء الذي يحدث من بعض الأئمة في دعاء القنوت من غير مراعاة للحقوق والمصالح الإنسانية التي كفلتها الشريعة الإسلامية بل ثبت عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مراعاته لهذه المصالح حتى أثناء تأديته لصلاة الفريضة عَنْ أَنَسٍ : " أَنَّ النَّبِيَّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ سَمِعَ بُكَاءَ صَبِيٍّ فِي الصَّلَاةِ فَخَفَّفَ ، فَظَنَنَّا أَنَّهُ خَفَّفَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ فِي الصَّلَاةِ رَحْمَةً لِلصَّبِيِّ "[٢٢] . هذا فضلاً عن أن المساجد حينما تكون قريبة من بعضها يحصل تداخل في أصوات الأئمة فتجدك تصلي في أحد المساجد بينما تسمع صوت الإمام الآخر مما يحدث تخليطاً في الأصوات وهذا ما نهته عنه الأحاديث التي تقدم ذكرها ثم إن الشارع قد امر الشارع

---

٢١ ينظر الأذكار من كلام سيد الأبرار، المؤلف : أبو زكريا ، يحيي بن شرف النووي الدمشقي ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، الناشر : مطبعة الملاح ــ دمشق ،١٣٩١هــ ١٩٧١م ، ١ / ٩١ .

٢٢ مسند أحمد بن حنبل ، المؤلف : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، (المتوفى : ٢٤١هــ) ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، الناشر : عالم الكتب – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هــ ــ ١٩٩٨ م ،٢ / ١٨٢ ، حديث رقم (١٢٩٠٨٨٩) ، مسند أنس بن مالك .

بالغض من الصوت ونهى عن رفعه لغير وجه وأمر بالاعتدال والتوسط فيه فقال عز وجل ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان : ١٩) وقال عز وحل ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الإسراء : ١١٠) ، (يعنى بقراءتك في صلاتك ، فيسمع المشركين فيوءذوك) ﴿ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾ (يقول : ولا تسر بها ، يعنى بالقرآن ، فلا يسمع أصحابك) ﴿ وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ ، يعنى مسلكاً ،يعنى بين الخفض والرفع [٢٣]، قاله مقاتل بن سليمان [٢٤] وغيره . وعن ابن عباس وغيره ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ ﴾.... الآية، قال : في الدعاء والمسألة [٢٥]. ويؤيد ما قاله مقاتل وغيره ما ثبت في الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾ ، قَالَ نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ ، وَمَنْ أَنْزَلَهُ ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ ﴾ أَيْ بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ﴿ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا

٢٣ تفسير مقاتل بن سليمان ، المؤلف : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، الناشر : دار الكتب العلمية – لبنان ، بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، الطبعة : الأولى ، ٢/٢٧٧ .

٢٤ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي بالولاء الخراساني المروزي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها، وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز، وله التفسير المشهور. توفي سنة خمسين ومائة بالبصرة، رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، المؤلف : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٧١، ٥/ ٢٥٥

٢٥ ينظر جامع البيان في تأويل القرآن ، ١٧/ ٥٨٣.

تُسْمِعُهُمْ ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ ؛[٢٦] وقال تعالى ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾ (الأعراف : ٢٩)، والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجاوز عن طرفي الإفراط والتفريط[٢٧] وفي الخبر "خير الأمور أوساطها "[٢٨]. والوسطية في الأمور سمة من سمات الامة الإسلامية ونهج نبيها وهي أهدى سبيلاً وأقوم قيلاً .

المبحث الثاني : أدب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن الكريم

من أهم الآداب المتعلقة بتلاوة القرآن الكريم الاستماع والإنصات عند قراءة قراءاته خلافاً للكفار الذين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (فصلت: ٢٦) . فأمر اللّه تعالى المسلمين حالة أداء الوحي ، أن يكونوا على خلاف هذه الحالة، وأن يستمعوا، ومدح اللّه الجن على ذلك فقال: " وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ " (الأحقاف: ٢٩) . ويدل على ذلك أن اللّه تعالى أمر بالاستماع ، وأمر بالإنصات بعده ، فلا يخفى على عاقل أن الإنصات للاستماع ، وإنما يجب الاستماع متى وجب الإسماع والتبليغ[٢٩] .

---

٢٦ صحيح البخاري ، ٩/ ١٨٨، حديث رقم (٧٥٢٥). باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ (الملك : ١٣) ، وصحيح مسلم ، ٢ /٣٤ ، حديث رقم (١٠٢٩) ، باب التَّوَسُّطِ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالإِسْرَارِ إِذَا خَافَ مِنَ الْجَهْرِ مَفْسَدَةً.

٢٧ ينظر جامع البيان في تأويل القرآن ، ١٢ / ٣٨٠ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ٦ / ٣٥٧ ، وتفسير روح البيان ، المؤلف : إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، الناشر :دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٣ / ١١٥.

٢٨ . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، ٨ / ٥١٨ ، حديث رقم (٦١٧٦) ، من رواية مطرف بن عبيد الله معضلاً .

٢٩ أحكام القرآن ، المؤلف : الكيا هراسى أبو الحسن على بن محمد ، الناشر : دارلكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ ، ١٤٤/٣.

وعلة الاستماع والإنصات عند القراءة بسبب أن القرآن بصائر للناس وآيات بيّنات للمؤمنين ، وهدى ورحمة لهم، وفي ذلك حصول الرحمة ، والفوز بالمنافع الكثيرة التي يشتمل عليها ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٠٣ ــ ٢٠٤)

ولا شك أن قوله فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ أمره وظاهر الأمر للوجوب ؛ فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجباً[٣٠]؛ وفيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة ، والثاني : أنه الإنصات للخطبة ، والثالث : أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين : أحدهما : أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه ، والثاني أن الآية مكية ، والخطبة إنما شرعت بالمدينة[٣١] .

والفرق بين الاستماع والإنصات ، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه . وأما الاستماع له ، فهو أن يلقي سمعه ، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع ، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب اللّه، فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً ، وإيماناً مستمراً متجدداً ، وهدىً متزايداً ، وبصيرةً في دينه ؛ ولهذا رتب اللّه حصول الرحمة عليهما ، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت ، أنه محروم

---

[٣٠] مفاتيح الغيب ، المؤلف : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م ، الطبعة : الأولى ، ٨٣/١٥ .

٣١ التسهيل لعلوم التنزيل ، المؤلف : محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة : الاولى ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، ٣٣٦/١ .

الحظ من الرحمة ، قد فاته خير كثير [٣٢]. وينبغي للمستمع أن يكون حريصاً على اكتساب وتحقيق الآداب التالية عند تلاوة القرآن الكريم :

١. استحضار النية . إذ على النية والإخلاص مدار الأعمال وقبولها لقوله عز وجل ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (البينة : ٥) ،أي الملة المستقيمة ، وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ... [٣٣]"

٢. التدبر والخشوع بغية التعرف على أحكامه ومراميه وغاياته ؛ إذ القرآن انزل لتدبر آياته وتذكرة لأولي الألباب ، يدل على ذلك قوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص : ٢٩) وقول تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد : ٢٤) ؛ يعني الطَّبْعَ على القلب ، وهذا استعارةٌ لإغلاقِ القلب عن معرفةِ الإسلامِ والقرآن ، وكأنَّ على قُلوبهم أقفالاً تَمنَعُهُمْ من الاستدلالِ [٣٤]. وقال عز وجل ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء : ٨) أي : لو كان مفتعلاً مختلقاً ، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا ﴾ أي : اضطرابا وتضادًّا كثيرًا. أي : وهذا سالم من الاختلاف ، فهو من عند الله .

---

٣٢ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى : ١٣٧٦هـ) ،المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ من ٣١٤/١ .

٣٣ الجامع الصحيح ، المؤلف : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْبُخَارِيُّ ، الناشر : دار الشعب – القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، ٢/١ ، حديث رقم (١) ، كِتَاب بَدْءُ الْوَحْيِ ، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

٣٤ تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني ،

٣. أن يكون سماعه سماع تفهم وقبول قاصداً الهداية لا الإعراض والصد والسخرية والاستهزاء التي هي من شأن الكفرة والمنافقين ؛ فقد أخبر الله أن أهل السماع هم الأحياء وهم أهل الخطاب والجواب ، وأخبر أن الآخرين هم الأموات بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأنعام : ٣٦) .

٤. استحضار البكاء حال استماعه للقراءة ما أمكنه ذلك فإن لم يبك تباكى فقد استحبه العلماء مع القراءة وعندها ، وطريقه في تحصيله : أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في ذلك فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب ، قاله أبو حامد الغزالي[٣٥] ، وهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الإسراء : ١٠٩) وقد وردت فيه أحاديث كثيرة وآثار السلف من ذلك ، حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ :" قَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : اقْرَأْ عَلَيَّ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ : آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾، (النساء : ٤١) قَالَ حَسْبُكَ الآنَ فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ [٣٦] "، وفي الصحيح وغيره عَنْ عَائِشَةَ فِي قِصَّةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ " ابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَتَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ

---

٣٥ أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد الطوسي : فيلسوف ، متصوف ، ولد في سنة خمسين وأربعمائة له نحو مائتي مصنف . منها " إحياء علوم الدين " ، و" تهافت الفلاسفة " و " الاقتصاد في الاعتقاد " . مات سنة خمس وخمسمائة . طبقات المفسرين ، المؤلف : أحمد بن محمد الأدنروي ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة : الأولى ، ١٩٩٧، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، ١ / ١٥٣ ، والأعلام ، للزركلي ، ٢٢/٧ .

٣٦ الجامع الصحيح ، مرجع سابق ،٦/ ٢٤١ ، حديث رقم (٥٠٥٠) ، باب قول المقرئ للقارئ حسبك.

دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ [٣٧] " ، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ : قُلْتُ لِجَدَّتِي أَسْمَاءَ : كَيْفَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ؟ قَالَتْ: " تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ كَمَا نَعَتَهُمُ اللهُ [٣٨] "

المبحث الثالث : حكم الأصوات المنكرة في القراءة

من الأصوات المنكرة والبدع المستحدثة التي لا أصل لها في الدين وفي قراءة القرآن الكريم بأصوات الغناء والمقامات الموسيقية[٣٩] والنوح ، وما يسمى بالترعيد ، وهو : أن يرعد صوته كالذي يرعد من برد وألم وقد يخلط بشيء من ألحان الغناء ، والترقيص ، وهو : أن يروم السكت على الساكن ثم ينفر مع الحركة في عدو وهرولة والتطريب ، وهو : أن يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمد في غير مواضع المد ويزيد في المد على ما ينبغي لأجل التطريب فيأتي بما لا تجيزه العربية ـــ وكثر هذا الضرب في قراء القرآن ـــ والتحزين ، وهو : أن يترك طباعه وعادته في التلاوة ويأتي بالتلاوة على وجه آخر كأنه حزين يكاد يبكي مع

---

٣٧ ينظر المرجع السابق ، ١٧٣/٣ ، حديث رقم (٢٢) ، كتاب بدء الوحي ، باب أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالْجُلُوسِ فِيهَا وَالْجُلُوسِ عَلَى الصُّعُدَاتِ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ٣٧٨/٧ ، وشعب الإيمان ، المؤلف : أبو بكر البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني ، (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، الناشر : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، ٣ / ٤١٤ .

٣٨ شعب الإيمان ، ٣ / ٤١٦ ، حديث رقم (١٩٠٠) ، فصل في البكاء عند قراءة القرآن .

٣٩ قسم الموسيقيون المقامات الموسيقية إلى أكثر من مائتان وخمسون مقاماً ، جعلوا منها مقامات أساسية أو رئيسة أطلقوا عليها .١مقام الراست. ٢- مقام البياتي . ٣- مقام العجم (أو عجم عشيران) . ٤-م قام النهاوند . ٥- مقام الكرد . ٦- مقام الحجاز. ٧- مقام السيكاه . ٨- مقام الصبا . ٩- مقام النو أثر .. هي عبارة عن تتالي لعلامات موسيقية وفق أبعاد معينة وقواعد موضوعة لتصنيف اللحن الموسيقي ، الأمر الذي يسهل تعامل العازف مع الآلة وبالتالي مع المقياس الموسيقي . واستخدمت في قراءة القرآن الكريم وتحسين الصوت به ، وهي في الغالب لا تخضع لقواعد التجويد وأحكامه وإنما لأبعاد الوتر الموسيقى من قصر وطول وترجيع وتقعيد ونحو ذلك مما يعرفه أهل الغناء والموسيقى وهي بدعة منكرة يلجأ أهل الهوى والفسق والكبائر يستحلون تعلم واستعمال الالات الموسيقية كالكمان والفيليون والناي والمزمار في تلاوة الكتاب العزيز وحالهم كما وصفهم الحديث النبوي " مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم .

خشوع وخضوع ولا يأخذ الشيوخ بذلك لما فيه من الرياء ، وآخر أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرؤون كلهم بصوت واحد فيقولون في نحو قوله : ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس : ٦٨) ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٧٧) : أفل يعقلون أول يعلمون فيحذفون الألف وكذلك يحذفون الواو فيقولون : قال' آمنا والياء فيقولون : يوم الدن في " يوم الدين " ويمدون ما لا يمد ويحركون السواكن التي لم يجز تحريكها ليستقيم لهم الطريق التي سلكوها . وينبغي أن يسمى هذا التحريف . وكذا كل قراءة خرجت عن حد الترتيل وعن لحن العرب إلى لُحُون العجم [٤٠] .

والترتيل هو : الإتيان بأصوات القرآن الكريم مفسرة ومبينة صوتاً صوتاً ومتميزة عن غيرها بترسل وتدبر للمعاني والأحكام . فقد أنزل القرآن على الترسل وهو المكث وهو ضد العجلة [٤١] قال تعالى ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾، وقال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ (الإسراء : ١٠٦) أي على ترسل ، وقال عز وجل مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: "﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل : ٤) ؛ أي : إذا قرأته فبينه تبييناً، وترسل فيه ترسلاً [٤٢] .

وتحسين الصوت بالقراءة وتحبيره وترجيحه إن كان المقصود منه الترغيب والترهيب وحصول الخوف والخشوع فلا بأس به بل مستحب رغب فيه النبي ﷺوأثر عن صحابته ، رضوان عليهم أجمعين ، فقد كانوا يزينون القرآنَ بأصواتِهم من غيرِ أن يتكلفوا أوزانَ

٤٠ ينظر التمهيد في علم التجويد ، ١/ ٥٥ .

٤١ إعراب القرآن ، المؤلف : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تحقيق : د.زهير غازي زاهد ، الناشر : عالم الكتب ،١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م ، ٣/ ١٦٠ ، والتمهيد في علم التجويد ، ١/٦٠،، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ٤٥٩/٩ .

٤٢ ينظر جامع البيان في تأويل القرآن ، ٢٣ /٦٨٠.

الغِناء ، فقد ثبت في الصحيح عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقرآن وزاد غَيْرُهُ يَجْهَرُ بِهِ " [٤٣].

قال ابن كثير عقبه : فقد فهم من هذا أن السلف رضي الله عنهم إنما فهموا من التغني بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه ؛ كما قال الأئمة رحمهم الله.

ويشهد له أيضًا حديث رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : " لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ [٤٤] " ، وعن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله ﷺ" زينوا القرآن بأصواتكم "[٤٥].

أراد بالقُرْآن القِراءةَ فهو مصدر قَرَأَ يقرأُ قِرَاءة وقُرْآنا : أي زيِّنوا قرَاءتَكم القُرآن بأصواتِكم . ويشهدُ لصحَّة هذا حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ، قَالَ : اسْتَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ قِرَاءَتِي مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ ، قَالَ : " يَا أَبَا مُوسَى ، اسْتَمَعْتُ قِرَاءَتَكَ اللَّيْلَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ " ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ عَلِمْتُ مَكَانَكَ ، لَحَبَّرْتُ لَكَ تَحْبِيرًا[٤٦] ، أي حَسَّنتُ قِراءته وزَيَّنتُها ويؤيِّد ذلك تأييداً لا شُبْهةَ فيه حديث ابن عباس

---

٤٣ صحيح البخاري ، ١٨٨/٩ ، حديث رقم (٧٥٢٧) ، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : "وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ". (الملك : ١٣ ـــ ١٤) .

٤٤ صحيح البخاري ، ٦/ ٢٣٥،مرجع سابق ، حديث رقم (٥٠٢٣) ، باب مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ .

٤٥ تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقال الألباني صحيح . انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة ، ٤/ ٢٨٥، حديث رقم (١٨٥٣٩) ، مسند البراء بن عازب ، وسنن النسائي ، المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ٢/ ١٧٩ ، حديث رقم (١٠١٥) ، باب تزيين القرآن بالصوت ، و المستدرك على الصحيحين ،المؤلف : محمد بن عبدا لله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ١/ ٧٦١ ، حديث رقم (٢٠٩٨) ، ذكر فضائل سور و آي متفرقة.

٤٦ صحيح ابن حبان ، المؤلف : محمد بن حبان أبو حاتم البُستي ، المحقق : شعيب الأرنؤوط ،الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣، ١٦٩/١٦، حديث رقم (٧١٩٧) ، ذِكْرُ قَوْلِ أَبِي مُوسَى لِلْمُصْطَفَى ﷺ أَنْ لَوْ عَلِمَ مَكَانَهُ لَحَبَّرَ لَهُ.

أن رسول اللّه ﷺ قال : " لِكُلّ شيءٍ حلْيَةٌ وحِلِيةُ القُرْآن حُسْنُ الصوت [٤٧]" ، وكان أبو عبيد[٤٨] يرى غير هذا التفسير حيث قال : في حديث النبي ــ عليه السلام ــ : ﷺ : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقرآن " ، :" كان سفيان بن عيينة[٤٩] يقول : معناه من لم يستغن به ولا يذهب به إلى الصوت وليس للحديث عندي وجه غير هذا، لأنه في حديث آخر كأنه مفسر عن عبد الله بن نهيك أو ابن أبي نهيك : أنه دخل على سعد وعنده متاع رث ومثال رث ، فقال قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يتغن بالقرآن .

---

٤٧ رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف . و رواه البزار وفيه عبد الله بن المحرر وهو متروك.وقال الألباني : ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة ، ، فالأولى الاستدلال بالزيادة المتقدمة في بعض طرق حديث البراء المحفوظ بلفظ : فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا . المعجم الأوسط ، المؤلف : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، الناشر : دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، ٧/ ٢٩٣ ، حديث رقم (٧٥٣١) ، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، المؤلف : الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر ، طبعة : دار الفكر ، بيروت ،١٤١٢ هـــ، الموافق ١٩٩٢ ميلادي ،٧/ ٨٦ ، حديث رقم (١١٧٠٥) ، باب القراءة بالصوت الحسن .

٤٨ القاسم بن سلام أبو عبيد الأنصاري مولاهم البغدادي : أحد الأعلام وذو التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر. قال أبو عمرو الداني : أخذ القراءة عرضا وسماعاً عن الكسائي وشجاع بن أبي نصر وإسماعيل بن جعفر ، روى عنه القراءة أحمد بن إبراهيم وراق خلف وأحمد بن يوسف التغلبي وعلي بن عبد العزيز ونصر بن داود وثابت بن أبي ثابت ، من كتبه " الغريب المصنف " ، في غريب الحديث ، و" الطهور " في الحديث، و" الأجناس من كلام العرب " و " أدب القاضي " ، و" فضائل القرآن " ، و" الأمثال " ، و" المقصور والممدود " في القراءات ، و " الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته . توفي أبو عبيد سنة أربع وعشرين ومائتين رحمه الله . غاية النهاية في طبقات القراء ، المؤلف : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف ،الناشر : ج . برجستراسر GBEGSTRAESSER ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٢هـــ ١٩٨٢م ، ٢/ ١٧ ــ ١٨ والأعلام ، للزركلي ، ٥ / ١٧٦ .

٤٩ " سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي الأعور الإمام المشهور، ولد سنة سبع ومائة، وعرض القرآن على حميد بن قيس الأعرج وعبد الله بن كثير، روى القراءة عنه سلام بن سليمان، قال الكسائي ما رأيت أحدا يروي الحروف إلا وهو يخطىء فيها إلا ابن عيينة، توفي أول يوم في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون ويقال أنه حج ثمانين حجة . غاية النهاية في طبقات القراء ،١/ ٢٨٠.

قال أبو عبيد [٥٠] : فذكره رثاثة المتاع والمثال عند هذا الحديث يبينك أنه إنما أراد الاستغناء بالمال القليل ، وليس الصوت من هذا في شئ ويبين ذلك حديث عبد الله : " من قرأ سورة آل عمران فهو غني ".وعنه قال : " نعم كتر الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها من آخر الليل [٥١] " . قال أبو عبيد : فأرى الأحاديث كلها إنما دلت على الاستغناء ، ومنه حديثه الآخر : " من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيراً وصغر عظيماً ".

ومعنى الحديث : لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحداً من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها . ولو كان وجهه كما يتأوله بعض الناس أنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون : من لم يرجع صوته بالقرآن فليس من النبي ــ عليه السلام ــ حين قال : " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " ، وهذا لا وجه له ، ومع هذا أنه كلام جائز فاش في كلام العرب وأشعارهم أن يقولوا : تغنيت تغنياً وتغانيت تغانياً يعني استغنيت قال الأعشى [٥٢] :

---

٥٠ أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف في القراآت والحديث والفقه واللغة والشعر، إمام أهل دهره في جميع العلوم صاحب سنة ثقة مأمون ، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن علي بن حمزة الكسائي وشجاع بن أبي نصر وسليمان بن حماد وغيرهم ، روى عنه القراءة خلق كثير منهم أحمد بن إبراهيم وراق خلف أحمد بن يوسف التغلبي ، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين في المحرم بمكة عن ثلاث وسبعين سنة . ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ، ٢ / ١٨ .

٥١ قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح وهو موقوف على عبد الله . سنن الدارمي ، المؤلف : عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ،٢/٥٤٤ .

٥٢ ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد المعروف بأعشى قيس ويقال له : أعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير (أبو بصير) . من شعراء الجاهلية واحد اصحاب المعلقات . مات سنة ٧. ينظر الأغاني ، ٩ / ١٢٨ ، وكشف الظنون ، ١/ ٧٧٦ ، معجم المؤلفين ، ١٣ / ٦٥.

وَكُنْتُ امْرَأً زَمَناً بِالعِرَاق ... عفيفَ المناخِ، طويلَ التّغنّ[٥٣]

يريد الاستغناء أو الغنى ، وقال المغيرة بن حبناء التميمي[٥٤] ــ يعاتب أخاً له :

كِلاَنَا غنيٌّ عن أخِيه حياتَه ... ونحنُ إذا مِتْنا أشدُّ تَغانيا[٥٥]

يريد أشد استغناء ، هذا وجه الحديث والله أعلم [٥٦]".

أما إذا كان الهدف من بتحسين الصوت اتباع قواعد النغم ، وقوانين الموسيقي فهذا ــ كما تقدم من المحدثات التي لا أصل لها في الدين ــ و لم يكن عليه سلفنا الصالح ؛ بل ظهر أول ما ظهر على أيدي الموالي ، والأعاجم ؛ بعد انقراض القرون المفضلة ،قال في جمال القراء :" قد إبتدع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء ويقال إن أول ما غني به من القرآن قوله تعالى ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الكهف : ٧٩) نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر :

---

٥٣ الزاهر في معاني كلمات الناس ، المؤلف : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢ هـ -١٩٩٢، ٤/٢ ، وتاج العروس من جواهر القاموس ،٣٩ /١٨٩ ، ولسان العرب ، ١٥ /١٣٥.

٥٤ المغيرة بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التميمي: شاعر، إسلامي . كان من رجال المهلب بن أبي صفرة. يكنى أبا عيسى. اشتهر بنسبته إلى أمه، وقيل: حبناء لقب غلب على أبيه لجبنه، واسمه حبين . مات سنة سنة اثنتين ومائة . ينظر تاريخ خليفة بن خياط ، المؤلف : خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر ،الناشر : دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٧، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ، ٨٩/١ ، والأعلام ، للزركلي ،٧ / ٢٧٨ .

٥٥ الكامل في اللغة والأدب ، المؤلف : محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر : دار الفكر العربي – القاهرة ،الطبعة : الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ١٧٢/١، والأغاني ، المؤلف : أبي الفرج الأصفهاني ، الناشر : دار الفكر - بيروت ، لبنان ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : سمير جابر ، ٣/ ١٤٣ .

٥٦ غريب الحديث ،المؤلف : القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٦ ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، ٢/ ١٧٢.

أمَّا القَطاةُ فإنِّي سوف أنعَتُها ... نعتاً يُوافق منها بعضَ ما فيها [٥٧]

وقد قال في هؤلاء مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم [٥٨] "

و لم يكن أيضاً بهذه الصورة الفجة التي ظهر بها بعض قراء زماننا الذين اتخذوا آيات الله هزواً ؛ فقرأوا بألحان أهل الفسق والمجون ؛ وتركوا ما ينبغي اتباعه عند قراءته من الخشوع والسكينة والتفهم والتدبر لآياته - وأحسن الناس صوتاً من إذا سمعته يقرأ ؛ حسبته يخشى الله - و لم يكتفوا بذلك؛ حتى أنشأوا القنوات لتعليم هذا الإسفاف، والترويج لهذا الباطل الذي لا يقره شرع ولا عقل ؛ بحجة التغني بالقرآن ، وتطريب القراءة ، وتحسين الصوت بها

هذا ؛ وقد اجتمعت أقوال الأئمة من أهل العلم المحققين - من المتقدمين والمتأخرين - على منع هذا الفعل وكراهته وأنه من البدع المنكرة ، و لم يقل بجوازه إلا القليل على خلاف بينهم في المقصود من التطريب ونوعه و لم ينقل عن أحد منهم القول بجواز استخدام الآلات الموسيقية وقواعدها في قراءة القرآن الكريم بل مما قالوه أن لحن اللاحنين من القرّاء المتأخرين ، لا يجعل حجّة على الكتاب قاله ابن قتيبة[٥٩] . وقال : " وقد كان الناس قديماً يقرؤون بلغاتهم ... .ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة ، ولا علم التكلّف ، فهفوا في كثير من الحروف وزلّوا وقرؤوا بالشاذ وأخلّو ا [٦٠]" .

وقال ابن الجزري : " إن مما ابتدع الناس في قراءة القران أصوات الغناء وهي التي أخبر بها رسول الله ﷺ أنها ستكون بعده ونهى عنها " ، وقال ــ أيضاً بعد أن ذكر بدع القراءة من

---

٥٧ قال أبو الفرج الأصفهاني " عروضه من البسيط والشعر مختلف في قائله ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيمي وإلى مزاحم العقيلي وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندي وإلى العجير السلولي وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي وهو أصح الأقوال " ذكره من رواية ثعلب في الأبيات التي فيها الغناء . الأغاني ، ٨/ ٢٦٦ ــ ٢٧٢.

٥٨ الإتقان في علوم القرآن ،المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ،١/ ٢٧٠ .

٥٩ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، صاحب " كتاب المعارف " ، و " أدب الكاتب " و " مشكل القرآن " وغيرها كان فاضلاً ثقة ، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة. وروى عنه ابنه أحمد وابن درستويه الفارسي، . توفى سنة ٢٧٦هـ . شذرات الذهب ، ٢/ ١٦٩ .

٦٠ تأويل مشكل القرآن ،المؤلف : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،١/ ٤٢.

الترقيص والترعيد والتطريب والتحزين والتحريف ـــ :" وأما قراءتنا التي نقرأ ونأخذ بها فهي القراءة السهلة المرتلة العذبة الألفاظ التي لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء على وجه من وجوه القراءات فنقرأ لكل إمام بما نقل عنه من مد أو قصر أو همز أو تخفيف همز أو تشديد أو تخفيف أو إمالة أو فتح أو إشباع أو نحو ذلك [٦١] "

وقال ابن رجب[٦٢] رحمه الله ـــ مشيراً إلى أن ذلك الفعل من محدثات الإسلام بعد انقراض القرون الفاضلة ـــ : " قراءة القرآن بالألحان بأصوات الغناء وأوزانه وإيقاعاته على طريقة أصحاب الموسيقى فرخص فيه بعض المتقدمين إذا قصد به الاستعانة على إيصال معاني القرآن إلى القلوب للتحزين والتشـــويق والتخويف والترقيق وأنكـــــر ذلك أكثر العلماء ومنهم من حكاه إجماعاً ولم يثبت فيه نزاعـــــاً منهم أبو عبيـــــد وغيره من الأئمة وفي الحقيقة هذه الألحان المبتدعة المطربة تهيج الطباع وتلهي عن تدبر ما يحصل له من الاستماع حتى يصير الالتذاذ بمجرد سماع النغمات الموزونة والأصوات المطربة وذلك يمنع المقصود من تدبر معاني القرآن وإنماردت السنة بتحسين الصوت بالقرآن لا بقراءة الألحان وبينهما بون بعيد[٦٣] "

وقال ابن كثير : " والغرض أن المطـــــلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضـــــوع والانقياد للطـــــاعة ، فأما الأصـــــوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي ، فالقرآن يتره عن هـــــذا ويجـــــل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب ، وقد

---

٦١ التمهيد في علم التجويد ، ٥٧/١ .

٦٢ عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن ابن محمد بن مسعود البغدادي ، الدمشقي ، الحنبلي ، الشهير بابن رجب (زين الدين ، جمال الدين ، أبو الفرج) محدث ، حافظ ، فقيه ، أصولي ، مؤرخ . توفي ليلة الخميس ثالث عشر شهر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ودفن بمقبرة الباب الصغير من دمشق عند والديه رحمهما الله . معجم المؤلفين ، ٥/ ١١٨ ، والرد الوافر ، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ ،تحقيق : زهير الشاويش ،٦٨/١ .

٦٣ نزهة الأسماع في مسألة السماع ، المؤلف : عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، الناشر : دار طيبة – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، تحقيق : وليد عبد الرحمن الفريان ، ٧١/١.

جـــاءت الســـنة بالزجـــر عن ذلك ، كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام ، رحمه الله : حدثنا نعيم بن حماد[٦٤] ، عن بَقِيَّة بن الوليد[٦٥] ، عن حصين بن مالك الفزاري[٦٦] : سمعت شيخًا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : " اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابيين ، ويجيء قوم من بعـــدي يرجعـــون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم[٦٧] ". وعد ابن القيم ـــ رحمه

---

٦٤ نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي أبو عبد الله المروزي الفارض. روى له : (البخاري – مسلم في مقدمة صحيحه – أبو داود – الترمذي – ابن ماجه) رتبته عند ابن حجر : صدوق يخطىء كثيرا ، فقيه عارف بالفرائض رتبته عند الذهبي : الحافظ ، مختلف فيه ، امتحن فمات محبوساً بسامراء .توفي ٢٢٨ هـــ . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ،المؤلف : الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي ،الناشر : دار القبلة للثقافة الاسلامية ، الطبعة : الاولى ، ١٤١٣ – ١٩٩٢،٢/ ٣٢٤ ، وتقريب التهذيب ، المؤلف : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوّامة ، طبعة : دار الرشيد بحلب ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـــ ،١٠/ ٤٣٤ .

٦٥ بَقِيَّةُ بنُ الوَلِيْدِ بنِ صَائِدِ بنِ كَعْبِ بنِ حَرِيْزٍ الحِمْيَرِيُّ الحَافِظُ، العَالِمُ، مُحَدِّثُ حِمْصَ، أَبُو يُحْمِدَ الحِمْيَرِيُّ، الكَلَاعِيُّ، ثُمَّ المَيْتَمِيُّ، الحِمْصِيُّ، أَحَدُ المَشَاهِيْرِ الأَعْلَامِ . وُلِدَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمَائَةٍ ، وثقه الجمهور فيما سمعه من الثقات وقال النسائي إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقة مات ١٩٧م . سير أعلام النبلاء ، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـــ ١٩٨٥ م ، ٨/ ٥١٨ ، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ،١/ ٢٧٣ .

٦٦ حصين بن مالك بن الخشخاش ، و هو حصين بن أبي الحر التميمى العنبرى ، أبو القلوص البصرى من كبار التابعين . روى له : النسائي وابن ماجه رتبته عند ابن حجر : ثقة ، رتبته عند الذهبي : ثقة . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ،١/ ٣٣٩ ، وتهذيب التهذيب ، المؤلف : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤ هـــ – ١٩٨٤م ،٢/ ٣٣٤.

٦٧ أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام ، في فضائل القرآن ، المؤلف : أبو عُبيد القاسم بن سلاّم البغدادي (المتوفى : ٢٢٤هـــ) ، تحقيق : مروان العطية – محسن خرابة – وفاء تقي الدين ، الناشر : دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ،١٤٢٠هـــ ١ / ١٦٥ ، حديث رقم (١٩٥) ، باب ما يستحب للقارئ من تحسين القرآن وتزيينه بصوته ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ، المؤلف : محمد بن وضاح القرطبي ،المحقق : محمد أحمد دهمان ،الناشر : دار الصفا ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـــ ، ١٩٩٠م ،١/ ٩٣ ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، المؤلف : محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى : نحو ٣٢٠هـــ) ، الناشر : دار الجيل ، بيروت ،١٩٩٢م ، ٣ /٢٥٥، وابن عدي ، في الكامل في ضعفاء الرجال ،

اللهِ ــ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ الْقُرَّاءِ أَمَامَ الْجَنَائِزِ وَيَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ قُرَّاءِ الْأَصْوَاتِ مِمَّا يَتَضَمَّنُ تَغْيِيرَ كِتَابِ اللَّهِ وَالْغِنَاءَ بِهِ عَلَى نَحْوِ أَلْحَانِ الشِّعْرِ وَالْغِنَاءِ اجْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ وَكِتَابِهِ وَتَلَاعُبًا بِالْقُرْآنِ وَرُكُونًا إلَى تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لَا يُجِيزُهُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ [٦٨]؛ وقال : " وَفَصْلُ النِّزَاعِ أَنْ يُقَالَ التَّطْرِيبُ وَالتَّغَنِّي عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : مَا اقْتَضَتْهُ الطَّبِيعَةُ وَسَمَحَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلَا تَمْرِينٍ وَلَا تَعْلِيمٍ بَلْ إذَا خُلِّيَ وَطَبْعَهُ وَاسْتَرْسَلَتْ طَبِيعَتُهُ جَاءَتْ بِذَلِكَ التَّطْرِيبِ وَالتَّلْحِينِ فَذَلِكَ جَائِزٌ وَإِنْ أَعَانَ طَبِيعَتَهُ بِفَضْلِ تَزْيِينٍ وَتَحْسِينٍ كَمَا قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ لِلنَّبِيِّ ﷺ : " لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا [٦٩] " . وَالْحَزِينُ وَمَنْ هَاجَهُ الطَّرَبُ وَالْحُبُّ وَالشَّوْقُ لَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ دَفْعَ التَّحْزِينِ وَالتَّطْرِيبِ فِي الْقِرَاءَةِ وَلَكِنَّ النُّفُوسَ تَقْبَلُهُ وَتَسْتَحْلِيهِ لِمُوَافَقَتِهِ الطَّبْعَ وَعَدَمِ التَّكَلُّفِ وَالتَّصَنُّعِ فِيهِ فَهُوَ مَطْبُوعٌ لَا مُتَطَبِّعٌ وَكَلَفٌ لَا مُتَكَلِّفٌ فَهَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ السَّلَفُ يَفْعَلُونَهُ وَيَسْتَمِعُونَهُ وَهُوَ التَّغَنِّي الْمَمْدُوحُ الْمَحْمُودُ وَهُوَ الَّذِي يَتَأَثَّرُ بِهِ التَّالِي وَالسَّامِعُ وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ تُحْمَلُ أَدِلَّةُ أَرْبَابِ هَذَا الْقَوْلِ كُلِّهَا . الْوَجْهُ الثَّانِي : مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ صِنَاعَةً مِنْ الصَّنَائِعِ وَلَيْسَ فِي الطَّبْعِ السَّمَاحَةُ بِهِ بَلْ لَا يَحْصُلُ إلَّا بِتَكَلُّفٍ وَتَصَنُّعٍ وَتَمَرُّنٍ كَمَا يُتَعَلَّمُ أَصْوَاتُ الْغِنَاءِ بِأَنْوَاعِ الْأَلْحَانِ الْبَسِيطَةِ وَالْمُرَكَّبَةِ عَلَى إيقَاعَاتٍ مَخْصُوصَةٍ وَأَوْزَانٍ مُخْتَرَعَةٍ لَا تَحْصُلُ إلَّا بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّكَلُّفِ فَهَذِهِ هِيَ الَّتِي كَرِهَهَا السَّلَفُ وَعَابُوهَا وَذَمُّوهَا وَمَنَعُوا الْقِرَاءَةَ بِهَا وَأَنْكَرُوا عَلَى مَنْ قَرَأَ بِهَا وَأَدِلَّةُ أَرْبَابِ هَذَا الْقَوْلِ

المؤلف : أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ، الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ٢ /٢٧٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان ،٤/ ٢٠٨ ، حديث رقم (٢٤٠٦) ، فصل في ترك التعمق في القرآن ، والطبراني في الأوسط ،٧/ ١٨٣ ، حديث رقم (٧٢٢٣) ، وابن كثير في فضائل القرآن ،المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ ، ١ / ١٩٦. قال الطبراني: "لا يُرْوَى هذا الحديث عن حذيفة إلّا بهذا الإسناد ، تفرَّدَ به بقية".

٦٨ زاد المعاد في هَدْي خير العباد ، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ ـــ١٩٩٤م ،١/ ٤٧٠ .

٦٩ تقدم تخريجه .

إنَّمَا تَتَنَاوَلُ هَذَا الْوَجْهَ وَبِهَذَا التَّفْصِيلِ يَزُولُ الِاشْتِبَاهُ وَيَتَبَيَّنُ الصَّوَابُ مَنْ غَيْرِهِ وَكُلّ مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِأَحْوَالِ السَّلَفِ يَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنْ الْقِرَاءَةِ بِأَلْحَانِ الْمُوسِيقَى الْمُتَكَلَّفَةِ الَّتِي هِيَ إيقَاعَاتٌ وَحَرَكَاتٌ مَوْزُونَةٌ مَعْدُودَةٌ مَحْدُودَةٌ وَأَنَّهُمْ أَتْقَى لِلَّهِ مِنْ أَنْ يَقْرَءُوا بِهَا وَيُسَوِّغُوهَا وَيَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَءُونَ بِالتَّحْزِينِ وَالتَّطْرِيبِ وَيُحَسِّنُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَيَقْرَءُونَهُ بِشَجًى تَارَةً وَبِطَرَبٍ تَارَةً وَبِشَوْقٍ تَارَةً وَهَذَا أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي الطِّبَاعِ تَقَاضِيهِ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ الشَّارِعُ[٧٠] "

وقال الشيخ ابن باز[٧١] ــ رحمه الله ــ : "لا يجوز للمؤمن أن يقرأ القرآن بألحان الغناء وطريقة المغنين ؛ بل يجب أن يقرأه كما قرأه سلفنا الصالح من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان ؛ فيقرؤه مرتلاً متحزناً متخشعاً حتى يؤثر في القلوب التي تسمعه ، وحتى يتأثر هو بذلك. أما أن يقرأه على صفة المغنين ، وعلى طريقتهم فهذا لا يجوز "[٧٢].

وقال ابن حجر[٧٣] ــ رحمه الله ــ : " ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لان للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف

---

[٧٠] زاد المعاد في هَدْي خير العباد ، مرجع سابق ،١/ ٤٧٠.

٧١ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز، من كبار علماء المملكة العربية السعودية ، انتهت إليه رئاسة الإفتاء في عصره ، ولد بالرياض في شهر ذي الحجة عام ١٣٣٠ هـ، وحفظ فيها القرآن ، وجوّده على الشيخ سعد وقاص البخاري بمكة المكرمة ولد في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية في الثاني عشر من ذي الحجة عام ١٣٣٠هـ ، عين قاضياً عام ١٣٥٠هـ ، قال عن نفسه : " كنت بصيراً في أول الدراسة ، ثم اصابني المرض في عيني عام ١٣٤٦هـ فضعف بصري بسبب ذلك ، واسأل الله جل وعلا ان يعوضني عنه بالبصيرة في الدنيا" توفي رحمه الله يوم الخميس ، سنة ١٤٢٠هـ .

٧٢ فتاوى ومقالات متنوعة ٩/ ٢٩٠.

٧٣ علم الأعلام أمير المؤمنين في الحديث حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر قوم تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد وأرضهم قابس الكناني العسقلاني الأصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة ومؤلفاته مشهورة ولد في ثاني عشرى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ومات سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،٧/ ٢٧٠.

اختلاف في جواز القرآن بالألحان أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك فحكى عبد الوهاب المالكي عن مالك تحريم القراءة بالألحان وحكاه ابن حمدان الحنبلي عن جماعة من أهل العلم وحكى بن بطال وعياض والقرطبي من المالكية والماوردي والبندنيجي والغزالي من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية الكراهة ، وقال الفوراني من الشافعية في الإباحة يجوز بل يستحب ومحل هذا الاختلاف إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووي[٧٤] في التبيان أجمعوا على تحريمه [٧٥]"

ولعل وجه الحكمة في منع قراءة القرآن بالألحان وقوانين الموسيقى تتمثل في الأمور التالية :

١. أولاً : إن فيها مخالفة صريحة لأصل القرآن ونظمه المتره عن الكهانة والشعر.

٢. ثانياً : أنها تؤدي إلى الزيادة والنقصان في القرآن الكريم وفي أصواته كالمقادير المعلومة للمد والغنة إذ القصد في الغالب إطراب المسامع والأخذ من القلوب بالمجامع وذلك صارف لإدراك الغاية من تلاوة القرآن وتجويده التي هي حصول التدبر والتذكر وتحقيق مبادئه وتطبيق أحكامه.

٣. ثالثاً: تُشبهه بالغناء الذي هو لهو ولعب وهزْل ، وقد نـــزه الله عز وجل القرآن الكريم من ذلك كله ، فقال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾(الطارق ١٣ ــ ١٤)

٤. ولا شك أن هذه الأمور ممنوعة ، فتكون قراءة القرآن بالألحان ممنوعةً كذلك . والعلم عند الله تعالى .

---

٧٤ يحيى بن شرف بن مري بن حسن ابن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي ، الدمشقي ، (محيي الدين ، أبو زكرياء) فقيه ، محدث ، حافظ ، لغوي ، مشارك في بعض العلوم . ولد في محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة وتوفي سنة ٦٧٦هـ . ست وسبعين وستمائة . معجم المؤلفين ، ١٣/ ٢٠٢ ، و الدارس في تاريخ المدارس ، المؤلف : عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ، المحقق : إبراهيم شمس الدين ، الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م ،١/١٩.

٧٥ انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ،الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، ٧٢/٩ .

الفصل الثاني
العلاج بالقرآن ودليل مشروعيته

العلاجُ بالقرآنُ ؛ اسمٌ عامٌ ، ومصطلحه الشرعي الرُّقية ، وتعريفها: لغة : العُوذة قال عروة [٧٦] : فما تَرَكا مِن عُوذَةٍ يَعْرِفانها ... ولا رُقْيةٍ إلا بها رَقَياني والجمع رُقىً وتقول استَرْقَيْتُه فرَقاني رُقْيَة فهو راق ؛ ورَقَى الراقي رُقْيةً ورُقِيّاً إذا عَوَّذَ ونَفَثَ في عُوذَتِه .[٧٧]

والرقية شرعاً: الْعَوْذَةُ الَّتِي يُرْقَى بِهَا صَاحِبُ الْآفَةِ كَالْحُمَّى وَالصَّرَعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْآفَاتِ .[٧٨] والمقصود بها : تعويذ المريض بقراءة شيءٍ من القرآن الكريم ، وأسماء الله وصفاته ، والأذكار المأثورة عن الطب النبوي مع الدعاء للمريض حتى يبرأ مما أصابه .

وقد جاء في بعض الأحاديث جوازُها وفي بعضِها النَّهْيُ عنها فمنَ الجواز ما روته أُمِّ سَلَمَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ[٧٩] فَقَالَ :" اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ [٨٠] " ؛ أي اطلبوا لها من يرقيها ؛ ومن النهي عنها ما رواه عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ " يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

---

٧٦ عروة بن حزام أبو سعيد العدوي ابن ضبة بن عبد بكير بن عذرة ، كان شاعر مغرماً في ابنة عم له، وهي عفراء بنت مهاجر، هلك في حبهافي حدود الثلاثين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه . البداية والنهاية ،٧ / ٢٤٧، والأغاني ، ٢٤ / ١٢٣ ، وفوات الوفيات ، ٢ / ٤٤٧ ، ومصارع العشاق ، المؤلف : أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج القارئ ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، أحمد رشدي شحاته ، ١ / ٣٣١ .

٧٧ المحكم والمحيط الأعظم ، المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ــ تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الناشر : دار الكتب العلمية ،٢٠٠٠م ، ٦ / ٥٠٠ ، ولسان العرب ، ١٤ / ٣٣١ .

٧٨ النهاية في غريب الحديث والأثر ، المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، الناشر : المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ، ٦٢١/٢ ، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،٦ /١٧٩.

٧٩ بفتح السين المهملة وتضم وسكون الفاء بعدها عين مهملة سواد أو حمرة يعلوها سواد أو صفرة والمراد هنا أن السفعة أدركتها من قبل النظرة . إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، المؤلف : أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ،الطبعة : السابعة، ١٣٢٣ هـ ، ٨ / ٣٩٠ ، حديث رقم (٥٧٣٨) ، باب رُقْيَةِ الْعَيْنِ .

٨٠ صحيح البخاري ، ٧ / ١٧١ ، حديث رقم (٥٧٣٩) ، باب رقية العين .

مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " . قَالُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ " هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " [٨١].

والأحاديث في القسمين كثيرة ؛ ووجه الجمع بينها : أن الرُّقى يُكره منها ما كان بغير اللسان العربي وبغير أسماء الله تعالى وصفاتهِ وكلامه في كتُبه المنزلة وأن يعْتَقدَ أن الرُّقْيا نافعة لا مَحالَة فيتَّكلَ عليها وإياها .

ولايُكره منها ما كان في خلاف ذلك كالتعوّذ بالقرآن وأسماء الله تعالى والرُّقى المَرْوِيَّةِ ؛ لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للذي رَقَى بالقرآن وأَخَذَ عليه أَجْراً " كُلْ فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةٍ بَاطِلٍ ، لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةٍ حَقٍّ [٨٢] " .

وكقوله في حديث جابر أنه ــ عليه السلام ــ قال لعمرو بن حزم ل ــ ما دُعِيَ لِامْرَأَةٍ بِالْمَدِينَةِ لَدَغَتْهَا حَيَّةٌ لَيَرْقِيَهَا ــ : " اقْرَأْهَا عَلَيَّ ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : لاَ بَأْسَ إِنَّمَا هِيَ مَوَاثِيقُ فَارْقِ بِهَا [٨٣]" . كأنه خاف أن يقع فيها شيء مما كانوا يتلفظون به ويعتقدونه من الشرك في الجاهلية وما كان بغير اللسان العربي مما لا يعرف له ترجمة ولا يمكن الوقوف عليه فلا يجوز استعماله .[٨٤]

فيؤخذ من ذلك أن الرقى نوعان : مشروعة : وهي ما كانت من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما لا يخالفهما من الأدعية المعروفة ؛ فهذه مقبولة في الشرع لاَ بَأْسَ في استعمالها . وممنوعة أو مكروهة : وهي كلُّ ما كان بكلام وتَمْتَمات غير مفهومة، وألفاظ مجهولة ؛ فهي من الطَّلاسم الشركية ، وهذه مُحرَّمة في الشرع تَحْرُم الرقية بها أو إتيان من يرقي بها.

والخلاصة أن الرُّقى تجوز بشروط ثلاثة :

---

٨١ صحيح مسلم ، ١ / ١٣٧ ، حديث رقم (٥٤٧) ، باب الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ .

٨٢ سنن أبي داود ، ٤ / ١٤ ، حديث رقم (٣٩٠١) ، بَابُ كَيْفَ الرُّقَى .

٨٣ مسند أحمد بن حنبل ، ٣ / ٣٩٣ .

٨٤ النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٢ / ٦٢١ .

١. أولها: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢. ثانيها: أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

٣. ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته.

والتحقيق : أن العلاج بالقرآن مباح والعزيمة تركه ؛ لأن الشافي حقيقة هو الله ،واللجوء إلى الحق أحق من اللجوء إلى غيره ، قال تعالى ــ حكاية عن إبراهيم ، عليه السلام ــ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الشعراء : ٧٨ ــ ٧٨ ــ ٧٩) وفي شعب الايمان أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَادَ ابْنَ مَسْعُودٍ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ : مَا تَشْتَكِي ؟ قَالَ : ذُنُوبِي ، قَالَ: فَمَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : رَحْمَةَ رَبِّي ، قَالَ : أَلَا نَدْعُو لَكَ الطَّبِيبَ ؟ قَالَ : الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي "[٨٥]

وأما دليل مشروعية الرقية قوله : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (فصلت: ٤٤). والآيات في ذلك كثيرة [٨٦]. وقال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الإسراء : ٨٢) .

فعن قتادة[٨٧] ــ رضي الله عنه ــ جعل هذا القرآن ﴿ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه[٨٨] .

---

٨٥ شعب الإيمان ، ٤ / ١١٨ ، حديث رقم (٢٢٦٧) ، باب تَخْصِيصُ سُوَرٍ مِنْهَا بِالذِّكْرِ .

٨٦ تفسير القرآن العظيم ، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المحقق : سامي بن محمد سلامة ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، ٥ / ١١٢ .

٨٧ قتادة بن دعامة السدوسي الحافظ أبو الخطاب الضرير الأكمه ، مفسر الكتاب آية في الحفظ ، إماماً في النسب، رأساً في العربية واللغة وأيام العرب . أخذ القرآن ومعانيه ، وروى عن أنس بن مالك وعن غيرهم . توفي سنة سبع عشرة ومائة . العبر في خبر من غبر ، ١/١١٢ ، وطبقات المفسرين ،١/١٤، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرناؤوط ، الناشر: دار بن كثير ، دمشق ، ١٤٠٦هـ ،١/١٥٣.

٨٨ جامع البيان في تأويل القرآن ، ٣٧ ، ٥٣٩ .

وقال : لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان ، قضاءً من الله الذي قضى ﴿ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.[٨٩] وهذا من أقوى الأدلة على كمال الطب القرآني وشموله إذ هو في الحقيقة طِبّ روحي في الرتبة الأولى ، وطبّ وقائيّ في الرتبة الثانية ، وطب مادي في الرتبة الثالثة فهو أحسن الحديث وأفضل الكتب الجامعة لحقيقة خلق الإنسان التي هي قبضة من طينة الأرض ونفخة من روح الله ؛ قال عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (ص : ٧١ – ٧٢)

فالقرآنُ هو الشِّفاء التام مِن جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواءِ الدنيا والآخرة، وما كُلُّ أحدٍ يُؤهَّل ولا يُوفَّق للاستشفاء به ، وإذا أحسن العليل التداوىَ به ، ووضعَه على دائه بصدقٍ وإيمان ، وقبولٍ تام ، واعتقادٍ جازم ، واستيفاءِ شروطه ، لم يُقاوِمْهُ الداءُ أبداً. وكيف تُقاوِمُ الأدواءُ كلامَ ربِّ الأرض والسماءِ الذى لو نزل على الجبال ، لصَدَعَهَا ، أو على الأرض ، لقطعها ؟ ! ، فما مِن مرضٍ من أمراض القُلُوبِ والأبدان إلا وفى القُرآن سبيلُ الدلالة على دوائه وسببه ، والحِمية منه لمن رزقه الله فهماً فى كتابه . فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله . ومن لم يكفه فلا كفاه الله . وفيه من الأدوية التى تَشفى من الأمراض ما لم يهتد إليها عقولُ أكابر الأطباء ، ولم تصل إليها عُلومُهم وتجاربهم وأقيستهم ، من الأدوية القلبية ، والروحانية ، وقوة القلب ، واعتمادِه على اللهِ ، والتوكلِ عليه ، والالتجاء إليه ، والانطراحِ والانكسارِ بين يديه ، والتذلُّلِ له ،والصدقةِ ، والدعاءِ ، والتوبةِ ، والاستغفارِ ، والإحسانِ إلىالخلق ، وإغاثةِ الملهوف ، والتفريجِ عن المكروب ، فإنَّ هذه

٨٩ ينظر معالم التنزيل ، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ،المحقق : محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م ، ٥/ ١٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ، ١٠ / ٣٢١

الأدوية قد جرَّبتها الأُممُ على اختلاف أديانها ومِللها ، فوجدوا لها من التأثير فى الشفاء ما لا يصل إليه علمُ أعلم الأطباء ، ولا تجربتُه ، ولا قياسُه. [٩٠] " .

والأحاديث الدالة على جواز الرقية كثيرة جداً، فقد رقى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نفسه ورقاه غيره ــ عليه الصلاة والسلام ــ فعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- : " كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا " [٩١].

وعَنْها – رضي الله عنها – أَنَّهَا قَالَتْ : "كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رَقَاهُ جِبْرِيلُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِى عَيْنٍ [٩٢] ".

وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه كان يرقي أصحابه، ومن جملة ما يرقاهم به: " رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ، فَيَبْرَأُ [٩٣] ".

كما أمر غيره بالرقية -صلى الله عليه وسلم ــ يدل على ذلك الحديث المتقدم : " استرقوا لها فإن بها النظرة ". وفعله -صلى الله عليه وسلم- بغيره كما روى البخاري : كَانَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يُعَوِّذُ بَعْضَهُمْ يَمْسَحُهُ بِيَمِينِهِ " أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا " [٩٤].

---

٩٠ زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤/١٢ــــ ٣٥٢ .

٩١ صحيح مسلم ، ٧/١٦ ، حديث رقم (٥٨٤٤) ، باب رُقْيَةِ الْمَرِيضِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَالنَّفْثِ .

٩٢ صحيح مسلم ،مرجع سابق ، ٧/ ١٣ ، حديث رقم (٥٨٢٨) ، باب الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَى.

٩٣ سنن أبي داود ، ٤ /١٢ ، حديث رقم (٣٨٩٢) ، بَابُ كَيْفَ الرُّقَى ، والمستدرك على الصحيحين ، ١ /٣٤٣، حديث رقم (١٢٧٢) ،كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، وسنن النسائي الكبرى ، ٦ / ٢٥٦ ، حديث رقم (١٠٨٧٤) ، باب ما يقول من كان به أسر وذكر الاختلاف على طلق بن حبيب في الخبر فيه)

٩٤ صحيح البخاري ، ٧ / ١٧٣ ، حديث رقم (٥٧٥٠) ، باب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى .

وأقر عليه الصلاة والسلام ، وغيره على فعل الرقية ، كما روى البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ ، فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ : إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْقِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً ؛ فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ ؛ فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ : فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى : لاَ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فَذَكَرُوا لَهُ ، فَقَالَ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ، ثُمَّ قَالَ - قَدْ أَصَبْتُمُ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صلى الله عليه وسلم [٩٥] ".

الطريقة المشروعة لدفع البلاء :

من الأسلحة الفعالة لدفع البلاء من السحر و المسّ و العين ونحو ذلك مما يبتلى المسلم أمور أشار إليها القرآن الكريم وسنها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكانت الدواء الناجع والبلسم الشافي لكل بلاء وظلم يترل بالمؤمن سواء وقع هذا الظلم والبلاء من إنسي أوجني فالسلاح بيد المؤمن فإن أحسن الضرب به دفع البلاء وذهب البأس وشفي بإذن الله وهذه الأسلحة هي :

٩٥ صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ٣ / ١٢١، حديث رقم (٢٢٧٦) ، باب مَا يُعْطَى فِي الرُّقْيَةِ عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ .

١. الدعاء ، فقد قال تعالى ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة : ١٨٦) و﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر : ٦٠) والدعاء من أنفع الأدوية . وهو عدو البلاء ، يدافعه ، ويعالجه ، ويمنع نزوله ، ويرفعه ، أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن ؛ يدل على ذلك حديث علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ، ونور السموات والأرض [٩٦] "، وله مع البلاء ثلاث مقامات : أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه . الثاني : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً . الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه... . قد روى الحاكم في " صحيحه " من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ: لاَ يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ ، وَإِنَّ الْبَلاَءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [٩٧] " ! .وفيه أيضاً : من حديث ثوبان عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه .[٩٨] لكن الحق سبحانه يضع شرطاً للاستجابة للدعاء ، وهو أن يستجيب العبد لله سبحانه وتعالى فيما دعاه إليه . عندئذ سيكون العبد أهلاً للدعاء والاستجابة ، ولذلك قال الحق في الحديث القدسي: "مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ[٩٩] " ؛ فالظاهر والله أعلم أن استجابة الدعاء تكون بقدر استجابة العبد لربه وتقربه إليه جل جلاله ومثال ذلك قصة الخليل إبراهيم ــ عليه السلام ــ فقد اخرج الطبري في

---

٩٦ المستدرك على الصحيحين ، ١ / ٦٦٩ ، حديث رقم (١٨١٢) ، كتاب الدعاء و التكبير و التهليل و التسبيح و الذكر .

٩٧ أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق ، ١ / ٤٩٢ ، حديث رقم (١٨١٣) ، كتاب الدعاء و التكبير و التهليل و التسبيح و الذكر . وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .

٩٨ المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق ، ١ / ٤٩٣، حديث رقم (١٨١٣) ، كتاب الدعاء و التكبير و التهليل و التسبيح والذكر ؛ وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .

٩٩ أخرجه الترمذي في سننه ، ٥/ ٣٤، حديث رقم (٢٩٢٦) ؛ وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

تفسيره عن سليمان التيمي ، عن بعض أصحابه قال: جاء جبريل إلى إبراهيم ــ عليهما السلام ــ وهو يوثق أو يقمَّط ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا [١٠٠] ". فقال جبريل: فاسأل ربك. فقال:" حسبي من سؤالي علمه بحالي". فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾[١٠١] (الأنبياء : ٦٩) وكان الدعاء ــ أيضاً ــ سلاح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي ورثه عن أبيه إبراهيم عليه السلام ؛ كما جاء في الحديث الصحيح الذي روته عَائِشَةَ ــ رضي الله عنها ــ قَالَتْ : سُحِرَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم ــ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ : أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ، قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ ، قَالَ : مَطْبُوبٌ قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ، قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ ،قَالَ فِيمَا ذَا ، قَالَ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ ، قَالَ : فَأَيْنَ هُوَ ، قَالَ : فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ ، قَالَ : فَذَهَبَ النَّبِيُّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ : لاَ ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّاوَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ [١٠٢]. فيؤخذ من هذا الحديث ثلاثة أمور مهمة :

- استعمال الدعاء عند السحر .
- البحث عن السحر لابطاله .
- دفن السحر وعدم الكشف عنه .

---

١٠٠ جامع البيان في تأويل القرآن ، ١٨ / ٤٦٧ .

١٠١ الجامع لأحكام القرآن ، ١١ / ٣٠٣ ــ ٣٠٤ .

١٠٢ صحيح البخاري ، ٧/ ١٧٨ ، حديث رقم (٥٧٦٦) ، باب السحر.

١. الرقية المشروعة ــأيضاًــ من أسباب دفع البلاء والوقاية منه يدل على ذلك حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ :" لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْقِي قَالَ "مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ" [١٠٣]

٢. التحصين ويكون بالمداومة على قراءة القرآن الكريم وبالأذكار المأثورة عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فذكر الله تعالى سببٌ لمعيّة الله تعالى،وحصن حصين ودرع واقٍ، وسلاح لا يُثلم، يقي من البلاء ويدفعه ، لقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨)، وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ " فذكر الحديث[١٠٤] وفيه " وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَمَثَلُ ذِكْرِ اللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ ، حَتَّى أَتَى حِصْنًا حَصِينًا ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ لاَ يَنْجُو مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللَّهِ " قال الشاطبي مبيناً فضل الذكر وعظمته

رَوَى الْقَلْبَ ذِكْرُ الله فَاسْتَسْقِ مُقْبِلاَ وَلاَ تَعْدُ رَوْضَ الذَّاكِرِينَ فَتُمحِلاَ [١٠٥]

وَآثِــرْ عَنِ الآثَارِ مَثْرَاةَ عَــــذْبِه وَمَا مِثْلُهُ لِلْعَبدِ حِصْناً وَمَــوْئِلاَ [١٠٦] .

---

١٠٣ صحيح مسلم ــ ٧/ ١٨ ، حديث رقم (٥٨٥٧) ، باب اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ.

١٠٤ اخرجه البيهقي في شعب الإيمان ،٧٣/٢ ، حديث رقم (٥٣٤) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ، ١ / ٤٢١ ، حديث رقم (١٥٣٤) ، وقال : "صحيح على شرط البخاري ومسلم" .

١٠٥ المعنى : أن نور القلب وضياءه ذكر الله عزّ وجلّ وحضوره في الفؤاد بتصور أسمائه وصفاته وأفعاله ومشاهدة مصنوعاته فاطلب منه سبحانه أن يفيض على قلبك عوارف لطائفه حال كونك مقبلا عليه، ولازم مجالس الذاكرين لتنتظم في سلكهم وتعدّ منهم، ولا تتجاوز مجالسهم إلى مواطن الغافلين فيظلم قلبك، ويذهب نوره وضيائه . الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ) ،الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع ،الطبعة : الرابعة ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ١ / ٣٨٢ .

١٠٦ المعنى : قدم ندى عذب الذكر على غيره من حطام الدنيا واجعله وصلة بينك وبين ربك حال كونك آخذا ذلك عن الآثار والأخبار الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم في فضل الذكر وليس هناك شيء يماثل الذكر فيما يتحصن به العبد من عذاب الله ويلوذ به من فتن الحياة . الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، مرجع سابق ، ١/ ٣٨٢ .

الخاتمة :

الحمد لله على بدء هذا البحث وإتمامه ، والصلاة والسلام على محمد خاتم أنبيائه .

وبعد هذا الاستعراض لموضوعات البحث ومسائله يجدر بي ذكر أهم نتائجه التي اجملها في الآتي :

١. يجب عند الاستماع والإنصات للقرآن الكريم استحضار النية .وإخلاصها لله عز وجل ، والتدبر والخشوع ، والبكاء حال القراءة ما تيسر ذلك للقارئ والمستمع .

٢. إن الإسرار بالقراءة أبعد من الرياء ، وأفضل في حق من يخاف ذلك ، فإن لم يخف الرياء ، فالجهر أفضل ، بشرط أن لا يؤذي غيره من مصل ، أو نائم أو غيرهما .

٣. قراءة القرآن الكريم بأصوات الغناء والمقامات الموسيقية والنوح ، وما يسمى بالترعيد ، والترقيص ، والتطريب ، والتحزين ،ونحو ذلك من الأصوات المنكرة والبدع المستحدثة المخالفة لتعاليم الشرع ومنهج السلف .

٤. ثبت بالبراهين المادية والمعنوية أن القرآن طِبّ روحي في الرتبة الأولى ، وطبّ وقائيّ في الرتبة الثانية ، وطب مادي في الرتبة الثالثة .

جواز الرقية بالقرآن وبأسماء الله تعالى وبما رقى به عليه السلام وبما جانسه